

الحلقة الحادية عشرة

كلمات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

ألا ترغب مستمعي أن تكون مميزاً عن الآخرين؟ وأن تتمتع بأمور لا يتمتعون بها؟ كل شخص في هذا الوجود يرغب أن يكون مميزاً، وأن يتمتع بأمور تكون خاصة به؟ ولهذا نجد أن الصراع يحتدم بين الأفراد لهدف الحصول على ثروة أكبر أو الوصول إلى مركز أفضل، أو مكانة أعلى في المجتمع.

هل تعلم صديقي أنه بإمكانك أن تكون مميزاً؟ وهل تدرك أن هذا الأمر ممكن بدون أي جهد تبذله أو عمل تقوم به؟ فعلى الإنسان حسب سنة الحياة، أن يجتهد ويدرس لكي يحوز على الشهادات العالية. وعليه أن يتعب ويبذل جهداً كبيراً لكي يحصل على الثروة أو ليتبوأ مركزاً أفضل في المجتمع. وقد تتساءل: لكن هل هذا ممكن أن أكون مميزاً بدون أي جهد أبذله أو عمل أقوم به؟ وللجواب نقول: نعم، إن هذا الأمر متوفر وسهل للغاية.

ولكي نوضح ما نريد قوله، نود أن نعود بك إلى كلمة الله الحيّة، وإلى ما كتبه الرسول بطرس من رسل المسيحية الأوائل في رسالته الأولى إلى المؤمنين الأوائل. كتب الرسول بطرس قائلاً: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبٌ اِقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلًا لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الْآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللَّهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الْآنَ فَمَرْحُومُونَ» (١بطرس ٢: ٩-١٠).

إنها بالفعل آية مهمة دونها لنا الرسول بطرس، إذ يؤكد أن المؤمنين بالمسيح هم جنس مختار، ومملكة كهنة، وأمة مقدّسة وشعب مُشْتَرَى، وأنهم الآن مرحومون. والهدف لكي يُخبروا بفضائل الله الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب. سنأمل الآن بهذه الآية المعبرة فابقوا معنا أعزائي.

صديقي المستمع، لقد أوضح الرسول بطرس للمؤمنين بالمسيح وضعهم الجديد بعد الإيمان بالمخلص المسيح. فهم قد أصبحوا جنساً مختاراً، أي من شعب الله المختار. هل تعلم مستمعي أنك عندما تؤمن بالمخلص المسيح تغدو من شعب الله ومن أولاده المختارين؟ فهل هناك من ميزة أعظم من هذه؟ وليس هذا فحسب بل إن المؤمن بالمسيح يصبح من جماعة الكهنة، الذين يستطيعون التقدّم إلى الله مباشرة دون أي وسيط بينه وبين الله خالقه. إذ إن جميع المؤمنين بالمسيح يشكّلون مملكة كهنة.

لقد كان على الكهنة في العهد القديم أن يكونوا من سبط أو قبيلة واحدة من شعب بني إسرائيل، هو سبط لاوي. أما في المسيحية فقد صار جميع المؤمنين بالمسيح كهنة، وهو ما نطلق عليه بكهنوت جميع المؤمنين. ولهذا يستطيع اليوم كل مؤمن بالمسيح أن يتقدّم ككاهن بكل ثقة إلى عرش نعمة الله دون خوف أو وجل، لكي ينال رحمته تعالى ويجد العون الذي يريده. وهذه ميزة أخرى تُعطى للمؤمن بالمسيح.

وتابع الرسول بطرس قائلاً عن المؤمنين بالمسيح أنهم أمة مقدّسة، أي أمة مفرزة ومخصصة لخدمة الله. والسبب لأن المسيح قد اقتنى أي اشترى هذه الأمة بفدائه الذي تمّ على الصليب. فالمسيح دفع ثمن عقاب خطايا المؤمنين واشتراهم لنفسه، أي أصبحوا ملكاً له والله الأب. وكل هذه المميزات قد أُعطيت للمؤمنين بالمسيح لكي يُخبروا العالم أجمع بفضائل نعم الله الذي حرّهم من الظلمة وأدخلهم إلى ملكوته، وأضاء لهم بنوره العجيب. مع العلم كما أوضح الرسول بطرس، أن المؤمنين بالمسيح لم يكونوا قبلاً من شعب الله لكنهم الآن قد أصبحوا من شعب الله.

ولعلّ الميزة المهمة التي يميز بها المؤمنون بالمسيح أنه لم تكن رحمة الله تشملهم كأناش خطاة، إذ كانوا يستحقون العقاب والدينونة. لكن بعد إيمانهم بالمسيح أصبحوا مرحومون، أي نالوا رحمة الله وغفرانه الكامل عن خطاياهم. فهل هناك أمر أعظم من أن ينال الإنسان الخاطئ غفران الله عن ذنوبه؟

صديقي المستمع، لعلّ السؤال الذي قد يتبادر إلى ذهنك هو: كيف بإمكانني أن أصبح من شعب الله المختار، ومن الذين يحوزون على كل هذه المميزات التي تحدّث عنها الرسول بطرس؟ وللجواب نقول: لقد سبق للرسول بطرس أن تحدّث عن كيفية أن يصبح الإنسان من شعب الله فكتب قائلاً:

لِذَلِكَ يُتَّصَمَّنُ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ: «هَآنَذَا أَضَعُ فِي صِهْيُونَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَارًا كَرِيمًا، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى». فَلَكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تُوْمِنُونَ الْكِرَامَةَ، وَأَمَّا لِلَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ، «فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوِيَةِ» وَحَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ. الَّذِينَ يَعْتُرُونَ عَيْرَ طَائِعِينَ لِلْكَلِمَةِ» (بطرس ٢: ٦-٨).

عندما يعيدنا الرسول بطرس إلى الكتاب فهو يقصد كتاب العهد القديم من الكتاب المقدس. فلقد سبق أن تنبأ النبي إشعياء عن حجر الزاوية الذي اختاره الله ليقوم عليه الإيمان المسيحي. وحجر الزاوية هو المخلص المسيح الذي أتى، والذي عندما يؤمن به أي إنسان ينال الخلاص ولن يُخزى. وتابع الرسول بطرس قائلاً: إن هؤلاء الذين يؤمنون بالمخلص المسيح لهم الكرامة، أما الذين لا يطيعون فقد أصبح المسيح الذي هو حجر الزاوية، حجر صدمة وصخرة عثرة بالنسبة لهم، ولهذا يعثرون ولا يؤمنون.

لكن من هم البنائون الذين رفضوا حجر الزاوية الذي هو المسيح؟ إن البنائين هم رجال الدين اليهود، الذين ظنوا أنهم يقودون شعبهم في الاتجاه الصحيح. وقد سبق للنبي داود أن تنبأ عنهم قائلاً: أن هذا «الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوِيَةِ» (مزمور ١١٨: ٢٢). لقد رفض رجال الدين اليهود المسيح، لكن الله جعله رأس الزاوية أي الأساس الذي يقوم عليه الإيمان المسيحي.

ألا تود مستمعي أن تكون من شعب الله المختار ومن أولاده؟ وأن تحظى بكل المميزات التي تحدت عنها الرسول بطرس فيشتريك المسيح المخلص له، وتصبح كاهناً لله، ومفرزاً لخدمته، وعلاوة على ذلك تحوز على غفران الله ورحمته. لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي مات من أجلك على الصليب؟ وهكذا تصبح فعلاً من شعب الله المختار.